Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قـد كـنـتُ حُـرّاً وأَنْـتَ عَـبْـدٌ فَـصِـرْتُ عَـبْـداً وأَنْـتَ حُـرُّ
أَنْتَ نَعِيمِـي وأَنْتَ بُـؤْسِي وقـد يَـسُـوءُ الَّـذِي يَـسُـرُّ
تَـذْكُـرُ كَـمْ لَـيْـلَةٍ لَهَـوْنَـا فِي ظِـلِّهـا والـزمـانُ نَـضْـرُ
غـابَ دُجـاهـا وأَيُّ لَـيْـلٍ يَـدْجُـو عَلَيْنَـا وأَنْـتَ بَـدْرُ[19]

فالطباق واضح فى الأبيات ، ولا يكاد يخلو بيت منه ، حقيقة كانت صنعة البحترى حلوة ، وليس فيها اقتسار أو تعسف ،[20] ولكن هذا لا يمنع من أنه أكثر من هذا اللون . وهنا تجدر بنا الإشارة إلى ما ذهب إليه قدامى النقاد من الحكم على الشعر الذى تكثر فيه الألوان البديعية ، بعدم الطبيعية ، وأنه متكلف ، وذلك ــ فى نظرهم ــ من العيوب التى توجه للشاعر ، وتنزل مرتبته ، وتقدح فى فنه ، وكان أولى بهم أن ينظروا إلى إحسان الشاعر فى استخدام هذه الألوان أو إخفاقه فيها . ومن الغريب أن نجد ناقداً من بينهم يحكم بتفضيل الشعر المصنوع إذا وقع موقعه ، وجاء فى محله ، وهو عنده أفضل من الشعر الذى لا صنعة فيه ، لكنه لا يلبث أن يسحب هذا الحكم ، ويتهم المكثر من الشعراء فى الصنعة بالتكلف ، وذلك حين يقول : «ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً فى غاية الجودة ، ثم وقع فى معناه بيت مصنوع فى نهاية الحسن ، لم تؤثر فيه الكلفة ، ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلهما»[21] .

وليس غريباً أن يهتم البحترى إذن بالجناس والطباق من بين الألوان البديعية على وجه الخصوص ، بل الغريب ألا يهتم بهما ، ذلك لأن جمال شعر البحترى يظهر أكثر ما يظهر فى موسيقاه ، وهذان اللونان لهما أثر كبير فى تقوية الموسيقى . ولنعد مرة أخرى إلى شعر البحترى نلتمس فيه الدليل على صدق ما زعمته من أخذه بالصنعة الفنية المحكمة ، يقول البحترى :

إنْ دَعَـاهُ دَاعِي الصِّبـا فـأَجـابَـهْ ورمَى قَلْبَـهُ الهَـوَى فـأَصـابَـهْ
عِبْتَ مـا جـاءَهُ ورُبَّ جَـهُـولٍ جـاءَ مـا لايُعـابَ يَـوْمـاً فعـابَـهْ

---

(١٩) ديوان البحترى ٢ : ١٠٥٠ ، من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان .
(٢٠) انظر : تاريخ الشعر العربى للدكتور البهبيتى ٥٠٥ .
(٢١) العمدة ١ : ١٣٠ ، ١٣١ .